مجلة الناقد للدراسات السياسية

المجلد: 03 العدد: 01
الرقم التسلسلي: 04
أفريل 2019

البعد الهوياتي في بناء الدولة الوطنية في الدول المغاربية - الجزائر أنموذجا -

الباحث: بونيف محمد سامي
طالب دكتوراه – دراسات أمنية
جامعة الجزائر 3
(الجزائر)
البريد الالكتروني: *samibouniv@gmail.com*

الباحث: سبع عبد الكريم [1]
طالب دكتوراه– دراسات استراتيجية
المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية
(الجزائر)
البريد الالكتروني: *karimbotin@gmail.com*

تاريخ الإرسال: 10/ 2019/02 - تاريخ القبول: 2019/04/05 - تاريخ النشر: 2019/04/25

الملخص :

مرت قضية بناء الدولة في المغرب العربي بعدة محطات أساسية عكست مدى حدة التيارات القومية التي تتصادم مع قوى مواجهة معبرة عن التجاذبات الهوياتية مابين التيار العروبي القومي والتيار المحافظ الأمازيغي وما بينهما من تيارات مصلحية، وتسعى هذه الدراسة لتوضيع ثلاث نقاط أساسية تتمثل في :

أ. إبراز المكونات الهوياتية للمجتمعات المغاربية: من خلال تحديد العناصر المكونة للمجتمعات المغاربية والتي تعكس تباين كبير خاصة في إطار المعضلة الهوياتية فالتأمل للمجتمعات المغاربية يلاحظ التناقضات الواسعة فالوجه الأول يمثل حالة من التوافق الاجتماعي في إطار الوحدة القومية التي تمتد بجذورها للأمة العربية والإسلامية فيما يمثل الوجه الثاني صراعا لغويا خاصة بين الفرانكفونيين والأمازيغيين الناتمين على التيار القومي العربي ما يهدد أسس الدولة الوطنية التي لا تزال في طور البناء.

ب .الوقوف على تطورات بناء الدولة القومية بالجزائر: لتوضيع القضية تم إختيار الجزائر كأنموذج من خلال التطرق لواقع الهوية في عملية بناء الدولة الوطنية الجزائرية: تعتبر اللغة إحدى أهم مقومات الهوية الوطنية فقد حاولت الجزائر بناء واقع جديد يضع مسألة اللغة كوسيلة فعالة لتنمية الهوية المشتركة التي حاول الإستعمار الفرنسي طمسها، وقد صنعت المسألة اللغوية جدلا كبيرا غذى الصراع الإيديولوجي خاصة بين التيار القومي العربي الذي ينسب للرئيس الراحل هواري بومدين والتيار الأمازيغي بقيادة الراحل حسين آيت أحمد والذي إمتد للحقبة التي تلتها ما خلق جدلا كبيرا في مواضيع الهوية واللغة بشكل خاص .

الكلمات المفتاحية: الهوية؛الوطنة؛الدول المغاربية؛الجزائر

[1] **المؤلف المرسل: الباحث سبع عبد الكريم؛** *karimbotin@gmail.com*

Abstract :

The issue of state-building in the Maghreb has passed through several basic stations reflecting the intensity of the national trends that clash with the confrontational forces expressing the identity disputes between the nationalist nationalist current and the conservative Amazigh trend and the current trends of interest. This study seeks to clarify three basic points :

A. The identity of the Maghreb communities: By identifying the constituent elements of the Maghreb societies, which reflect a great variation, especially within the framework of the identity dilemma, the Maghreb societies are aware of the great contradictions. The first is a state of social harmony within the framework of national unity, which is rooted in the Arab and Islamic culture, The second is a linguistic conflict between the Francophonians and the Amazighs who attack the Arab national trend, which threatens the foundations of the national state that is still under construction

B. make study on Algerian case was chosen by addressing the reality of identity in the process of building the Algerian national state: Language is one of the most important elements of national identity. Algeria has tried to build a new reality that puts the issue of language as an effective means of developing identity. And the linguistic problem created a great controversy fueled the ideological struggle, especially between the Arab national trend, which is attributed to the late President Houari Boumediene and the Amazigh trend led by the late Hussein Ait Ahmed, which extended for the period that followed what I did There is a great deal in the subjects of identity and language in particular.

Key Words: Identity/Citizenship/Maghreb Countries/Algeria

مقدمة :

إرتبطت قضية بناء الدول بمجموعة من المعطيات الأساسية تزامنت مع طبيعة التاريخ السياسي للدول خاصة تلك التي خضعت لسياسات إستعمارية أثرت على مكوناتها الداخلية مما جعلها تواجه تحديات بنيوية بعد الإستقلال، وتعد الدول المغاربية من بين الدول التي واجهت إشكاليات كبرى في بناء الدولة القطرية بداية من تحديات ترسيم الحدود الموروثة عن الإستعمار وصولا لبناء سياسة تنموية تضمن التوزيع العادل للثروة ودعم إستقرار عناصر الهوية الوطنية في ظل وجود ذهنيات مضادة تعيق هذه العملية .

إشكالية الدراسة :

تعيش منطقة المغرب العربي والجزائر حالة خاصة من ناحية جدل الهوية المنحصر في القضية الأمازيغية بالدرجة الأولى والتي عرفت تطورات تاريخية منذ الإستقلال، ومنه فإن هذه الدراسة تسعى لتوضيح هذا البعد وأثره على بناء الدولة الوطنية، ماهي إنعكاسات الإشكال الهوياتي على مفهوم الدولة الوطنية في الدول المغاربية ؟

منهجية الدراسة :

تم الإعتماد في هذه الدراسة على المنهج التفكيكي التركيبي الذي ينطلق من تفكيك مفاهيم الدراسة وتحليلها ومن ثم إعادة تركيبها بما يخدم السياق العام للدراسة، من خلال الإنتقال من المركب إلى البسيط ومن الكل إلى الجزء.

تقسيم الدراسة :

تنقسم الدراسة لثلاثة محاور يتحدث الأول عن أهم مفاهيم الدراسة وتحديد طبيعة العلاقة بينها وإيجاد الصيغة التي تحدد الدور الوظيفي لكل مصطلح، وفي المحور الثاني يتم التطرق لأهم ملامح الربط بين الجوانب التي أثرت في واقع بناء الدولة في المغرب العربي ولتحديد كل هذه الجوانب وأثرها على تطورات قضايا الهوية والمواطنة تم التطرق للجزائر كأنموذج في المحور الثالث .

المحور الأول: الربط المعرفي بين ثلاثية "الدولة" و"الهوية" و"المواطنة"

يشكل كل من الهوية والمواطنة متغيران رئيسيان في بناء الدولة الوطنية الحديثة، دولة قائمة على أسس المساواة بين مختلف الأطياف والشرائح المجتمعية التي يكفلها الدستور ويحرص على إحترامها، وعلى هذا الأساس سيتم التطرق في هذا المحور إلى تحديد مفاهيم كل من الهوية والمواطنة والدولة ودور الإندماج الإجتماعي في بناء دولة قوية تقوم على أسس المواطنة الحقة وتنتفي فيها مختلف أشكال الصراع الهوياتي التي قد تنعكس بالسلب على الدولة.

1- تحديد مفهوم الدولة

ظهر نموذج الدولة بمفهومها الحديث في أوروبا الغربية بعد الخروج من الإقطاعية وقد شكلت الصورة النموذجية لمعظم أشكال التنظيمات السياسية وساهمت ضغوط الحياة الدولية في تثبيت هذا النموذج ونشره على المستوى العالمي .

- **تعريف الدولة لغة : وجد مصطلح الدولة في اللغات الأجنبية في عدة أشكال ففي اللغة الإنجليزية "State" و في اللغة الفرنسية " Etat" ، ويرجع أصلها من مصطلح " Status" في اللغات اللاتينية والتي تشير إلى فكرة الوقوف وإستقرار الوضع، وعلى النقيض قي اللغة العربية حيث أشارت إلى معنى السلطة والغلبة في فترة الإنحطاط التي تلت إنهيار الخلافة الإسلامية وتفككها .**

وعلى العموم فإن معظم الدارسين يربطون تعريف الدولة بثلاثة مستويات هي: الدولة ككائن حي والدولة بمثابة جهاز آلي يتبنى وظائف آلية كإقرار السلم والأمن والنظام، وأخيرا الدولة ككائن إفتراضي يملك الشخصية المعنوية.[1]

تعريف الدولة إصطلاحا: إرتبطت الدول حسب العديد من الدارسين بمجموعة من التحولات التي عرفها المجتمع في إطار تطورات الحداثة السياسية فقد عرفها ماكس فيبر Max Waber على أنها مجموعة من العناصر التقنية والاقتصادية والسياسية التي تترجم عقلنة التنظيم القائم في المجتمع، إذا فإن التركيز على العوامل التي تبني الدول أهم العناصر لدى ماكس فيبر بالإعتماد على العقلنة كموجه للسلوك .[2]

أما على مستوى الأمم المتحدة تحدد تعريف الدولة لدى المجتمع الدولي في عدة نقاط أساسية نصت عليها المادة 02 من المرسوم 04 من ميثاقها، حيث أكدت على أن أهم مبادئ المنظمة إحترام السيادة الترابية للدولة من طرف الشعوب والحكومات والتي تمارس فيها الدولة صلاحيات ضبط السكان والتنمية وفرض إلتزاماتها الدولية على مواطنيها وتنتهي سيادتها بإنتهاء حدودها[3]، وإنطلاقا من هذه المادة فإن الحصر في أهمية عنصري السيادة والنفوذ على الرقعة الجغرافية وعلى الأفراد داخلها يبدو واضحا تماما في خطاب الأمم المتحدة ويعكس في ثناياها مهام الدولة ومميزاتها وعلاقتها بالمجتمع الدولي ومنظماته.

وعلى صعيد آخر فإن توماس هوبز *Thomas Hobbes* حاول إيجاز تعريف الدولة بمعانيها المعاصرة فيذهب في تعريفه إلى أن الدولة ماهي إلا تعبير عن القوة الجماعية التي يملكها المواطنون أنفسهم، وعلى هذا الأساس أصبحت الدولة تعبيرا للتنظيم المجتمعي على المستوى مافوق المحلي في إطار ما سمي بمأسسة السلطة *Institutionnalisation of the power* في ظل السعي لإيجاد الشخصية الذاتية التي تميز هذا الكيان السياسي والتي تنعكس على طبيعة تعريف أفراده لأنفسهم ومدى تمايزهم عن الأطراف الأخرين وهذا ما يربط الدولة بقيم الهوية والمواطنة بشكل خاص.[4]

---

[1] السعيد لوصيف،"واقع ومستقبل الدولة الوطنية ضمن رهانات وتحديات مرحلة ما بعد الحرب الباردة"، مذكرة ماجستير، (كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2009).ص 21 .

[2] سيدي محمد ولديب، الدولة وإشكالية المواطنة، قراءة في مفهوم المواطنة العربية، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2010، ص 31 .

[3] تقرير صادر عن الأمم المتحدة، متحصل عليه من موقع في 2018/08/02:
http://www.un.org/ar/sc/repertoire/principles.shtml

[4] سيدي محمد ولديب، المرجع السابق، ص 33 .

2- دور الهوية والمواطنة في الدولة الحديثة

تعتبر الهوية أحد أركان بناء الدول فهي تعبر عن ثلاثية أبعاد الكيان السياسي "الثقافة" و"الاجتماع" و"السياسة"التي تعكس مدى إرتباط الأفراد وشعورهم بالإنتماء داخل المجتمع والذي يولد بدوره قيم المواطنة فيما بعد .

يشير مصطلح الهوية *Identification* **لغويا إلى الإجابة الحتمية لتعريف الشخص لنفسه المنبثق عن طبيعة دوره داخل الجماعة، فالأفراد دائما ما ينزعون لتعريف أنفسهم إنطلاقا من المكانة التي يحتلونها وسط المجتمع والدور الذي يمارسونه، فهي المحدد الأساسي للذات المؤثر على واقع الإنتماء[1]، وقد جاء في كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي أن الهوية تعبر عن الشيء الذي يسمى تحقيقا للذات، وبإعتبار تشخصه يسمى هوية وإذا أخذ أعم من هذا يسمى ماهية، وقد يكون هذا التعريف قد حصر مفاهيم الهوية في تعريف الشيء لنفسه، لذلك فإن التعريف الأقرب هو ما جاءت به الأدبيات المعاصرة التي تقول بأن الهوية هي الإتصال المتماثل والمتمايز بين الأفراد بحيث أن الهوية الثقافية والحضارية للأمة تعكس القدر الثابت والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل الشخصية الوطنية والقومية متميزة عن الشخصيات الأخرى.[2]**

أما الهوية بمفهومها الشامل فهي تعبر عن خصوصيات الأفراد والمجتمع وترتبط في المستوى الدولاتي مع موضوع المواطنة بحيث يبرز مصطلح "الهوية الوطنية" *" National Identity "* **الذي يشير إلى الإنتماء للوطن وفق فكرة الجسم الوطني الذي يعبر عنه أفراد المجتمع بحيث تكون إمتداد للهوية الفردية المتوارثة أجيالا بعد أجيال بذلك فإن معطياتها تكون متجددة ومستمرة متنوعة المكونات وديناميكية الهويات الداخلية، وتمثل الهوية الوطنية نوع من أنواع الهوية الاجتماعية** *" Social Identity "* **المعبر عن التقدير الذاتي "** *Self – esteem"* **الممثل ببنية ديناميكية منفتحة ومتعددة الأبعاد بحيث أن الإنسان يشعر من خلالها بقيم الإنتماء وكل ما تعبر عنه من الأمن النفسي والاستقرار الإنفعالي وتنعكس فعليا في ممارسته للمواطنة داخل الكيان السياسي.[3]**

---

[1] *Jan E .stets & Peter J .Burk . "Identity theory & social identity theory ", Vol6 , N03 ,* ***american sociological association*** *,washington 2000 , p 224-225 .*

[2] عبد العزيز بن عثمان التويجري، التراث و الهوية، الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، 2011، ص، ص 20،21 .

[3] طالب محمود ياسين الخفاجي و إبتسام سعدون محمد ، " مستوى شعور طلبة كلية التربية بالهوية الوطنية » ، مجلة التراث ، العدد 10 ، مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها ، جامعة زيان عاشور، الجلفة ، ديسمبر 2013 ، ص 4 .

وبالعودة لمفهوم المواطنة فهي تمتع الشخص بحقوق وواجبات وممارسات في إقليم جغرافي معين وفق حدود معلومة، وتعرف في الوقت الراهن بالدولة القومية الحديثة التي تستند لحكم القانون في ظل تساوي الحقوق والواجبات بدون تمييز بسبب الإختلاف العرقي أواللون أوالموقع الاجتماعي .[1]

يشكل موضوع الهوية والمواطنة أهم تحدي لبناء الدول في الوقت الحالي حيث إشكالية تجاوز الإختلاف الهوياتي داخل المجتمعات تشكل عائق أمام بناء التلاحم الوطني، فالإنتقال من فكرة الدولة القومية القائمة على وحدوية القومية إلى الدولة الوطنية التي تستوعب كل الفئات المختلفة قد تبدو صعبة خاصة في الدول التي لا تزال متأخرة في تحقيق الديمقراطية وهذا ما يخلق خلل في الإندماج الاجتماعي.

3- دور الإندماج الاجتماعي في بناء مجتمع المواطنة

إن موضوع الهوية والمواطنة يحكم فعليا بمدى تحقيق الإندماج الاجتماعي، ويعرف لغويا في معجم لسان العرب بمعنى دمج، يدمج، إندماجا بمعنى دخل الشيء و إستحكم فيه، وورد في معاجم العلوم الاجتماعية في اللغة اللاتينية Integrare في إشارة للعمل أوالتأثير الناجمين عن عملية الدمج أوالإندماج، ويشير إصطلاحا إلى النظام الذي يسري في المجتمعات البشرية والتي تمكن الأفراد من التقارب والتحول إلى أعضاء أكبر وأوسع.

ويتخذ مفهوم الإندماج الاجتماعي ديناميكية متطورة Processus التي تمكن الأفراد من الإنصهار في مجتمعاتهم أفقيا بتمثيل قيمها وعاداتها وأنماط عيشها وعموديا بإكتساب هوية سياسية تعزز إنتسابهم لمؤسسة الدولة وتوطد ولائهم لها في إطار مركزية دور الدولة ومسؤوليتها في إنجاح هذه الصيرورة أوإعاقتها وتشدد على القيمة الإستراتيجية للتنشئة السياسية والتربية على المواطنة وإشاعة ثقافة المشاركة السياسية والديموقراطية لتجاوز معيقات الإندماج الاجتماعي مثل تضارب الهويات وما ينجر عنه من تعدد الولاءات وغياب إحساس الفرد بالإنتماء للكيان السياسي .[2]

تتحكم مجموعة من العوامل في تحديد مدى نجاح الإندماج المجتمعي داخل الدول تتمثل في ثلاثة عناصر أساسية يتعلق أولها بالإرث التاريخي *Heritage Historique* ودوره في تعقيد صيرورة الإندماج الاجتماعي، أما الثاني فيرتبط في مدى شرعية السلطة القائمة وقدرتها على صياغة علاقة متوازنة ومتصالحة مع المجتمع، أما العنصر الثالث فيرتبط

[1] سامح فوزي، المواطنة، القاهرة: مركز القاهرة دراسات حقوق الإنسان، 2008، ص 8 .

[2] امحمد مالكي، "الإندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة في المغرب العربي"، المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، 2013، ص 5 .

بالإمكان البشري *Potentiel Human*في إشارة للتحولات المستمرة في المنظومة القيمية والثقافية للمجتمع، وفي حالة الفشل في تحقيق هذا الإندماج تجد الدولة نفسها أمام عجز الإندماج الإجتماعي *Failed to social Integrare* [1]، وهو ما قد يقود للفشل الدولاتي وبالحديث عن دول المغرب العربي فإنها لا تزال تعاني من معيقات كبيرة لتحقيق الإندماج المطلوب وفق تباين طفيف بينها، قد يتأرجح بين المسار المتطور للإندماج والعجز عن تحقيقه وهذا ما يسعى العنصر الموالي لتوضيحه.

المحور الثاني: أبعاد بناء الدولة في منطقة المغرب العربي

تشكل منطقة المغرب العربي فسيفساء إجتماعية فريدة من نوعه، من حيث تنوع مكوناتها المجتمعية التي لعب فيها البعد التاريخي دورا رئيسيا،وهذا ما سيتم تبيانه في هذا المحور بالتطرق لجغرافيا المنطقة وديموغرافيتها وواقع الهوية بها.

1- البعد الجغرافي وأثره على ديموغرافيا المنطقة

تعتبر المنطقة المغاربية البوابة الشمالية لإفريقيا الممتدة من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن الحدود الشمالية لمنطقة الساحل الإفريقي إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط وتبلغ مساحته حوالي 5.782.140 كلم^2 وتشكل ما مساحته 42% من المساحة الإجمالية للوطن العربي ويدين أغلب سكانها الإسلام وبفعل إمتدادها الجغرافي الواسع ومجاورتها لعدة أقاليم تضم عدة أعراق تتوزع على كامل دول المنطقة .[2]

تضم المنطقة ستة دول هي تونس والمغرب وليبيا وموريتانيا والصحراء الغربية والجزائر التي تحوز وحدها على مانسبته 41% من مساحة الإقليم وتختلف تضاريس المغرب العربي إلا أن الطابع الغالب هو الشبه صحراوي والصحراوي، و بفعل هذه الظروف الطبيعية تشكلت أغلب التجمعات السكانية في دول المغرب العربي تاريخيا في المنطقة الضيقة الشمالية المقابلة للساحل المتوسط وهذا ما خلق علاقات خاصة بين الأعراق والثقافات المتعاقبة على المنطقة .

إن واقع السكان في المغرب العربي يعكس تنوعا كبيرا حيث أن هذه المجتمعات التي تقارب 93 مليون نسمة حسب تقديرات 2004 تشهد تداخل عدة أعراق وثقافات حيث يتواجد العنصر الأمازيغي بكثرة في كل من الجزائر والمغرب وبدرجة أقل في تونس وليبيا

[1] محمد مالكي، المرجع السابق، ص 10 .

[2] تقرير صادر عن موقع الجزيرة، متحصل عليه من موقع في 2018/08/2، http://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions/2017/5/15/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9

وتتواجد عدة قبائل تنتمي للزنوج في الصحراء الليبية وموريتانيا، والواقع يشير إلى أن الأصل العرقي لسكان الشمال الإفريقي هو الأمازيغي أما البعد الثقافي فيعكس تنوعا تسوده الثقافة العربية التي تجذرت في المجتمعات المغاربية بعد الفتح الإسلامي[1] .

2- دور البعد التاريخي في تكوين الدول المغاربية

يجمع الكثير من الدارسين أن العناصر التاريخية كان لها الأثر البارز في الجدل الهوياتي القائم في أغلب الدول المغاربية فقد شهدت هذه الدول موجات إستعمارية متتالية أثرت على ثقافة مجتمعاتها، ولعل الفتح الإسلامي يعتبر المتغير الأساسي الذي شكل ما يعرف بالمغرب العربي حاليا، فيطرح الأمازيغ جدلا سياسيا واجتماعيا في إطار الإشكال الهوياتي سواء تعلق بالوجه الحضاري أواللغوي ومما لا شك فيه أن الإستعمار ساهم في إذكاء هذه النعرات وقد إستعمل الإستعمار الفرنسي على سبيل مثال هذه السياسة في مناطق نفوذه سابقا (الجزائر وتونس والمغرب) فقد إعتبرت السلطات الفرنسية آن ذاك أن البربر هم علمانيون ولا يتنمون للمجتمعات العربية بأي شكل من الأشكال وهذا ما برز في دراسة المؤرخ محمد عابد الجابري بعنوان "المغرب المعاصر": الخصوصية والهوية والحداثة والتنمية".[2]

إن الإرث الإستعماري كان له الأثر البالغ في مرحلة ما بعد الإستقلال إذ شكل بناء الدولة المحك الحقيقي لإحترام حقوق المواطنة لكل أطياف المجتمع في إطار تشكيل الدولة الوطنية في القرن الماضي، لكن سيطرة التيار الإيديولوجي للقومية العربية أدى لهيمنة القوام الثقافي واللغوي الموحد، بحيث تم إختزال كل التعبيرات اللغوية والثقافية التي لا تنتمي للمنظومة الثقافية العربية وتنميطها مؤسساتيا وتقزيم دورها في الدولة، بهذا فإن السمة الغالبة في الدول المغاربية هي تهميش الأقليات الأخرى وتغييبهم فعليا عن أي دور في بناء الدولة الوطنية .[3]

3- القضية الهوياتية بين المطالب الاجتماعية والإستغلال السياسي

مما لاشك فيه أن الهوية العربية الإسلامية كانت ولا تزال تجمع مكونات المجتمعات المغاربية إلا أن عملية تجاهل العناصر الأخرى من طرف السلطات التي تعاقبت على دول

---

[1] تقرير صادر عن موقع الجزيرة، المرجع السابق .

[2] محمد جميل بن منصور، "الأمازيغ في الشمال الإفريقي .. محاولة للفهم" ، موقع الجزيرة، 2014/10/03، متحصل عليه من موقع في 2018/08/02:
http://www.aljazeera.net/home/print/787157c4-0c60-402b-b997-1784ea612f0c/3d0ade62-d215-41d5-b2ca-1a7fad148e8b

[3] مهى يحي، المواطنة والمكونات المجتمعية في المنطقة العربية، القاهرة: دار روافد للنشر والتوزيع، 2015، ص 249 .

المغرب العربي ساهمت في تزايد الإحتقان الداخلي، وقد ولد هذا عدة إحتجاجات ما يعرف بالربيع الأمازيغي في الجزائر في ثمانينات القرن الماضي والمغرب الأقصى، وقد تم تدويل المسألة الهوياتية في 1995م بتأسيس المؤتمر العالمي الأمازيغي والتي طالبت بالإعتراف بالثقافة الأمازيغية، وقد تعاملت الطبقة السياسية بالبراغماتية إذ إنتهجت سياسة التنازل الجزئي وشراء السلم الاجتماعي .

وقد حملت أحداث الحراك العربي 2011 تغيرات هامة إذ أن دول المغرب العربي أحست بالخطر القائم مما أدى لتقديم تنازل في هذا الصدد إعترفت الجزائر باللغة الأمازيغية كلغة وطنية ورسمية والعمل على ترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني وهذا بموجب المادة الرابعة من دستور عام 2016م[1]، وهذا جاء بعد سنوات من إعتراف المغرب باللغة الأمازيغية كلغة رسمية تعمل الدولة لتطويرها وحمايتها في الفصل الخامس في دستور 2011[2]، إلا أن هذا الأمر لا يخرج عن إطار الإستغلال السياسي للقضية الهوياتية إذ أن التطبيق على أرض الواقع لا يزال بعيد كما أن تجاهل المطالب الاجتماعية الأخرى وقضية التنمية بالأخص تشير لعدم جدية السلطة في التعامل مع الأمر وتبعدها عن مسار بناء الدولة الوطنية التي تضم كل فئات المجتمع دون إقصاء، وتأسيسا لهذا فإن دراسة الحالة الجزائرية تساهم في توضيح كل هذه الأبعاد والتي سيتم التطرق إليها بالتفصيل في المحور التالي .

المحور الثالث: دور الهوية والمواطنة في بناء الدولة الجزائرية الحديثة

تشكل الجزائر نموذجا مغاربيا فريدا من نوعه من حيث التنوع الهوياتي الذي أفرز صراعا هوياتيا الذي لعبت فيه العديد من العوامل دورا كيرا في تأجيجه بدءا من العامل التاريخي ودور المستعمر الفرنسي في تمزيق المجتمع الجزائري بناء على سياسة فرق تسد، ومن ثم الإتجاه القومي الذي إنتهجته الحكومة الجزائرية بعد الإستقلال تأثرا بتيار القومية العربية وإنتهاء بالتغيرات الإقليمية التي كان لها أثر رجعي على واقع الهوية بالجزائر والذي عملت السلطات الرسمية على مواجهته من خلال ترقية قيم المواطنة، وسيتم التفصيل في كل هذه العوامل والمؤشرات في العناصر البحثية القادمة.

[1] – الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المجلس الدستوري، دستور 2016، محصل عليه من موقع يوم 2019/03/12،
http://www.conseil-constitutionnel.dz/index.php/ar/2016

[2] محمد العجاني،"الدساتير والواقع والبنية ما بعد الإنتفاضات العربية"، مؤتمر أثر الإنتفاضات العربية على المواطنة في العالم العربي، جامعة البلمند، لبنان، نوفمبر 2014، متحصل عليه من موقع في 2018/08/31 ،
https://elagati.wordpress.com/2015/05/04/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B7%D9

1- المكونات الهوياتية الجزائرية

لا يمكن تفكيك التركيبة الهوياتية الجزائرية إلا عبر إجراء دراسة تاريخية للأمة الجزائرية. فتاريخ هذه الأمة يبدأ من تاريخ الأمة الأمازيغية الضاربة في أعماق التاريخ وعلى وجه التحديد تاريخ شمال إفريقيا، التاريخ الذي يبدأ من ماسينيسا ويوغرطة وصولا إلى ترسيم الدولة النوميدية حيث إستطاعت هذه الحضارة أن تستوعب الكل وتحافظ على هوية شمال إفريقيا – الأمازيغية رغم محاولات الغزاة التي تحطمت على أسوار هذه الأمة.

ولم يبقى المجتمع الجزائري آنذاك رغم المقاومة التي شهد له بها نائيا عن الإختلاط والإنصهار مع الأجناس الأخرى التي توافدت على الجزائر بداية من الفينيقيين وصولا إلى الرومان والبيزنطيين، الوندال، العرب(المسلمين) والأتراك (العثمانيين) وإنتهاء بالفرنسيين، بشكل تمازج فيه المجتمع وتلاقحت فيه حضارات متنوعة وأعراق مختلفة.[1] وهنا يكمن سر الإختلاف والتنوع الذي تشهده الجزائر عبر كامل القطر الوطني من حيث الأعراق والثقافات والتقاليد (فسيفساء مجتمعية).

ويرى الباحث جوليان أن الأمازيغ لا يشكلون عرقا مستقلا، بالمعنى الأنثروبولوجي للكلمة ولكنهم يشكلون بالأحرى خليطا إثنيا، فالعنصر الأصلي ظل يندمج ضمنه على إمتداد التاريخ عددا من الأعراق والأنواع. وبناء على هذا لا يمكن ربط هوية الدولة بطائفة معينة أوعرقية ما وإقصاء باقي الهويات – مثلما حدث في مرحلة ما بعد الإستقلال- لأن هذا سيعمل على ترسيخ خطاب أحادي يعادي سنن الكون القائمة على التعدد والإختلاف.

حتى إن سر الإستمرار في الكون قائم على التعارف ولا يمكن بأي حال الإستمرار بالإنطواء على الذات وهذا الأمر ساري على جميع التفاعلات والعلاقات المجتمعية فهذه سنة الخالق في خلقه الذي يقول في محكم تنزيله:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾[2]

ومع ذلك رغم الإنصهار بين جميع هذه العرقيات والأجناس التي تعتبر المكون الرئيسي للمجتمع الجزائري، لا يمكن إخفاء بعض حالات الصراع "الهوياتي" والذي يمكن

---

[1] جلال خشيب، "إشكالية الهوية في الجزائر ودور المثقف التوافقي".(د.ن.ن): المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية،21 سبتمبر 2016، ص-ص(3-2)، متحصل عليه من موقع في 2018/08/16: https://eipss-eg.org/%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%/

[2] سورة الحجرات، الآية 13.

توصيفه بالصراع اللغوي. وهذا بناء على ما أوردناه لجوليان الذي قال أنه لا يوجد عنصر أصلي يمكن ربط الهوية الجزائرية به لأن العنصر الأصلي إندمج في الأجناس الأخرى التي توافدت وإستقرت بالجزائر. وهذا التحليل جد منطقي لأن الختلاف يكمن حتى ضمن أبناء العرقية الواحدة، لأنه لو تم تسوية الصراع الهوياتي الأمازيغي-العربي فلن نكون في منأى عن صراع بربري- بربري لأن الإختلاف في الواقع هو إختلاف لغوي؛ فحسب غابرييل كامب الذي يقول:"لا توجد اليوم لغة بربرية بالمفهوم الذي تكون فيه إنعكاسا لمجموعة تحس بإنتماء موحد ولا شعب بربري ولا عرق بربري"[1]

فاللغات الأمازيغية كثيرة ومختلفة بحيث يتعذر التواصل بين مختلف الطوائف العرقية الأمازيغية بدون اللجوء إلى الترجمة، فمن اللغات الأمازيغية:

- القبائلية: وهي منتشرة في منطقة القبائل شمال الجزائر وتضم مدنا مثل تيزي وزو وبجاية والبويرة وبومرداس
- الشاوية: منتشرة في شرق البلاد وتضم مدنا مثل باتنة وسوق أهراس وتبسة
- المزابية: منتشرة في منطقة بني مزاب في غرداية وواد سوف
- التارقية وهي لغة الطوارق منتشرة في ولايات إليزي وتمنراست وأدرار في الجنوب
- الشلحة: منتشرة في بشار وتيبازة
- الطرقية: تنتشر في تمنراست أقصى الجنوب[2]

قد يتبادر إلى الأذهان أن الحل الأمثل للتوفيق بين جميع هذه الأعراق سواء الأمازيغ أوالأمازيغ والعرب هو اللغة العربية، هذا تخمين منطقي وحل مناسب في مثل هذا الإشكال بإعتبار أن كل هذه الأطياف تتقاطع في نقطة مشتركة وهي "الدين الإسلامي" الذي يولي اللغة العربية أهمية كبيرة والذي يلح على ضرورة تعلمها خاصة وأنها لغة القرءان الكريم. وعلى هذا الأساس ركز وألح المفكر الجزائري مولود قاسم (الأمازيغي) على المحدد الديني، حيث لعب دورا في بناء مجتمعات شمال إفريقيا، وبلورة شخصيتها وإضفاء طابع هوياتي جديد، فإستطاع المحافظة على النسيج المجتمعاتي من خلال سماحة الدين، حيث يعتبر الدين الإسلامي حسبه ليس مجرد طقوس تعبدية يومية أوموسمية بل هو أنفاسنا وأنفاس وجودنا وهواء حياتنا.[1]

[1] غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية،تر:عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2014، ص11.

[2] يوسف مراحي، أمازيغية الجزائر...لهجات تعوق وحدة اللغة، متحصل عليه من موقع في 2019/03/12، https://www.aljazeera.net/news/cultureandart

[1] - بن زينب شريف. "اللغة والهوية عند مولود قاسم نايت بلقاسم"، مجلة دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة مستغانم،2015،ص49، متحصل عليه من موقع في 2018/08/16 ، https://www.univ-mosta.dz/images/revue/revusdirassat/revusEH2015AR.pdf،

وبالتالي فالدين من أهم المقومات التي جعلت المجتمع الجزائري يحتفظ بشخصيته القومية، ويتصدى لكل محاولات التعريب والتنصير خلال الفترة الكولونيالية. لكن ومع ذلك لا يمكن إخفاء جانب آخر من الصراع الهوياتي، وهو الصراع بين العروبيين الذين يسعون إلى إرساء معالم اللغة العربية والفرنكفونيين الذين يسعون إلى تحجيم اللغة العربية بإعتبارها لغة عاجزة عن مواكبة الحداثة، وهذا أمر بالتأكيد فيه تشويه للغة العربية حيث يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: "إن العربية تتسع لدقائق الطب الذي برع فيه العرب، إذا إستثنينا كلمات قليلة يونانية أوفارسية أدخلها الفارابي وإبن سينا من ميراثهما الفارسي".[1] ضف على هذا فإنه في الوقت الذي كانت فيه أوروبا في عصور الظلام كانت اللغة العربية هي لغة العلم كما أنه في عصر النهضة الأوروبية كان هناك علماء يقبلون على تعلم اللغة العربية ويفضلون على غيرها من اللغات خصوصا اللغة اللاتينية.[2]

2- الهوية والمواطنة في الجزائر بعد الإستقلال

يهدف هذا العنصر إلى معالجة واقع الهوية بعد الإستقلال الجزائري عام 1962، وكيف تم التعامل دستوريا مع أزمة الهوية التي أفرزت عنها مرحلة بناء الدولة الجزائرية الحديثة.

فالهوية تعتبر من أهم أسباب عدم الإستقرار في الجزائر حيث أن أسبابها تاريخية، ميزها التنوع الثقافي، فإلى جانب الثقافة واللغة الأمازيغية الأصلية والثقافة العربية الوافدة مع الفتح الإسلامي، ترسخت الثقافة الفرنسية وأصبحت تستخدم في العديد من أوجه الحياة، هذا التنوع أصبح يشكل أزمة للهوية عندما إستخدمته التيارات المتصارعة على الحكم لإقصاء بعضها بعد الإستقلال.

جذور الإشكال الهوياتي الذي شهدته الدولة الجزائرية الحديثة يعود إلى فترة الإستعمار الفرنسي، فمسألة الهوية لم تكن مطروحة قبل الإستعمار الفرنسي للجزائر لأنه لم يرد في مختلف المخطوطات العربية واللاتينية حدوث صراعات إثنية أوطائفية بين الجزائريين بسبب اللغة أوالدين،ولم تكن المخطوطات على إتفاق فيما يتعلق بتسمية الشعب الجزائري آنذاك، فكثيرا ما نجد مثلا في المخطوطات والخرائط اللاتينية والإسلامية تسمية المنطقة بالشمال الإفريقي(تسمية جغرافية) أوبلاد البربر(تسمية إثنية) أوبلاد

---

[1] بن سعيد موسى، "اللغة العربية بين الحفاظ على الهوية ومواكبة عصر العولمة"، ص5، متحصل عليه من موقع في 2018/08/16:
http://revue.ummto.dz/index.php/pla/article/view/898/735

[2] بن زينب شريف، المرجع السابق. ص 46

المغرب(نسبة للإنتماء الإسلامي)، الجزائر...، أما التسمية المشاعة في بداية الإحتلال الفرنسي فكانت الأهالي المسلمين وهذا ما ورد في معظم الوثائق والمخطوطات الفرنسية.[1]

ونتيجة للمقاومة التي تعرض لها الإحتلال الفرنسي من طرف الجزائريين عمدت السلطات الفرنسية إلى إجراء بعض الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر بواسطة مجموعة من المستشرقين، من أجل البحث عن نقطة ضعف لضرب الهوية الوطنية للشعب الجزائري الذي أظهر مقاومة وتمسكا عجيبا بمقومات كيانه المتمثلة في الإسلام دينا والعربية لغة والأمازيغية أصلا وإنتماء. وإهتدت إلى أن الوسيلة الأنجع لتفكيك التلاحم الشعبي بين الجزائريين هو اللعب على وتر الطائفية اللغوية ومن خلالها القضاء على الشعور السائد عند عامة الشعب بالإمتداد الحضاري الذي كان يربط الجزائر بباقي الأمة العربية والإسلامية.[2] ويلخص هذا العقيد كاريت قائلا: "من المستحيل أن يتحالف القبائل مع العنصر العربي، لأن العرب إنتصروا على القبائل وطردوهم إلى الجبال".[3]

وإستمرت فرنسا بإتباع هذه الإستراتيجية المبنية على سياسة فرق تسد حيث حاربت العنصر العروبي بالأمازيغي ومن ثم حاربت الأمازيغي بالعروبي إلى غاية إندلاع الثورة التحريرية حيث أصبحت فكرة الجهاد هي عنوان الهوية الجزائرية في تلك الفترة. لكن ما إن وضعت الحرب أوزارها حتى إشتعلت حرب الهوية من جديد تحت غطاء سياسي فيما عرف بأزمة صائفة 1962، بعد أن بسط التيار العروبي المؤيد من قبل مصر الناصرية هيمنته على السياسة والتاريخ والثقافة، وإشتدت عندما بدأت سياسة إستيراد الثقافة المشرقية[4].

فقد بدأت سياسة التعريب رسميا عندما رفع الرئيس بن بلة شعار: "التعريب ضروري ولا إشتراكية بدون تعريب ولا مستقبل لهذا البلد إلا في العروبة"، وتواصلت المسيرة عندما أقدم الرئيس هواري بومدين على توقيع مرسوم عام 1968 يلزم كل الموظفين

[1] موزاوي علي،"مسألة الهوية الوطنية في الجزائر: من التلاحم الشعبي إلى التوظيف الإيديولوجي ثم التوجه نحو التعايش السلمي". متحصل عليه من موقع في 2018/08/16:
http://www.inumiden.com/ar/%D9%85%D8%B3%D8%A3%D9%84%D8%A9

[2] فريد قادري، "ثنائية اللغة والهوية في الجزائر". متحصل عليه من موقع الجزيرة في 2018/08/23:
http://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/4/25/%D8%AB%D9%86%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A

[3] موزاوي علي، المرجع السابق.

[4] رفيق بن حصير،"الأمازيغية والأمن الهوياتي في شمال إفريقيا-دراسة حالة الجزائر والمغرب-"، مذكرة ماجستير(قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012-2013)، ص-ص(60-58).

الجزائريين بأن يكونوا على معرفة كافية باللغة العربية عند توظيفهم، كما أصدرت الدولة قرارا بأن تكون كافة الرسائل الرسمية السياسية والإقتصادية والثقافية وكذلك الإتصالات والمباحثات باللغة العربية، كما تم تعريب أسماء المدن الأمازيغية ومنعت السلطات الجزائرية من التسمي بأسماء غير عربية وهذا ما كان سببا في إرتفاع موجة الإحتجاجات والمعارضة من طرف المكون الأمازيغي الذي يمثل حوالي 45.33% من السكان.[1]

وإستمرت سياسة إقصاء المكون الأمازيغي وتكريس سياسة تعريب المؤسسات ومحتلف الأنشطة الثقافية من أدب ومسرح وغناء وتهميش الإبداع الشعبي الأمازيغي وهو ما تجسد في الميثاق الوطني ودستور عام 1976.[2]

ويمكن الإستنتاج أن النظام الجزائري في فترة الحزب الواحد توجه نحو سياسة التعريب الذي تزامن مع تعاظم القومية العربية التي كانت في تلك الفترة في أوجها تأثرا بالدول المشرقية، متجاهلا بذلك التركيبة الداخلية للمجتمع الجزائري التي تتميز بالتنوع الثقافي بالإضافة إلى علاقة التوتر بين مختلف الشرائح الثقافية المكونة للهوية الجزائرية نظرا للحملة التي قامت بها فرنسا لضرب الهوية الجزائرية، وبالتالي بناء دولة جزائرية على أسس إيديولوجية بعيدة كل البعد عن الهوية الحقيقية للمجتمع الجزائري.

حتى بعد إنتقال الجزائر إلى التعددية السياسية وفق دستور 1989 الذي أقر التعددية السياسية والثقافية، إلا انه أنكر التنوع الثقافي للمجتمع الجزائري والتعدد اللغوي له وأبقى اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية وأهمل اللغة الأمازيغية.[3] وبداية التنازلات للمكون الأمازيغي فقد بدأت في عهد الرئيس اليمين زروال بحيث تم فتح قسمين للغة الأمازيغية بجامعتي تيزي وزو وبجاية، وأنشأ المحافظة السامية للأمازيغية وسمح بتقديم نشرات إخبارية في التلفزيون باللغة الأمازيغية الرئيسية، كما قام زروال بإضافة البعد الأمازيغي بإعتباره أحد المقومات الأساسية للهوية الجزائرية إلى جانب الإسلام والعروبة.[4]

---

[1] ياسر الغرباوي، "الهوية الجزائرية 3مسارات لمواجهة التحديات القائمة"، متحصل عليه من موقع في 2018/08/16، https://www.alaraby.co.uk/investigations

[2] رفيق بن حصير، المرجع السابق. ص58

[3] الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المجلس الدستوري، دستور 1989م، محصل عليه من موقع يوم: 2019/03/13، http://www.conseil-constitutionnel.dz/index.php/ar/1989

[4] ياسر الغرباوي، المرجع السابق.

وهذه التنازلات تأتي في خضم الضغوطات وتطورات الأحداث في ظل الحراك الديمقراطي في بداية التسعينيات حيث شهدت الساحة الوطنية تصاعد التيار الديمقراطي المتبني لثلاثية عناصر الهوية الوطنية (الأمازيغية – العربية – الإسلام)لا سيما بعد عودة كل من حسين آيت أحمد ومحمد بوضياف إلى الجزائر مقابل تراجع الحزب الواحد ومشروعه العروبي. وعودة القضية الأمازيغية إلى الواجهة لاسيما بتأسيس حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية وخروج جبهة القوى الإشتراكية من السرية، وإعادة تنظيم وهيكلة الحركة الثقافية البربرية التي نظمت مسيرة في 25 جانفي 1990.[1]

بعد وصول الرئيس بوتفليقة للحكم ونجاح مشروع الوئام المدني، تجدد الربيع الأمازيغي عام2001 وكانت إحتجاجات ذات طابع سلمي والتي أخذت فيما بعد منحى آخر بعد مقتل الطالب الثانوي قرماح ماسينيسا ما جعل بعض المصادر توصف الأحداث بالربيع الأسود،[2] والذي انتهى باعتراف السلطة باللغة الأمازيغية ودسترتها كلغة وطنية في التعديل الدستوري 2002[3]، حيث قال على إثر هذا الرئيس بوتفليقة: "إن هويتنا الوطنية مثلما كرسها الدستور تقوم على أبعاد ثلاثة هي: الأمازيغية والعروبة والإسلام، ومطلب الهوية دستوري لن يجد التكفل به إلا في أطار الدستور"[4]

3- قيم الهوية والمواطنة في ظل أحداث ما بعد 2011

لا يخفى عن الكثير أن الأحداث التي تلت موجة الحراك الشعبي أوالربيع العربي كما يروق للبعض توصيفه، كان لها أثارا وتداعيات كبيرة في مختلف الأبعاد. فموجة الحراك التي إنطلقت في عديد الدول العربية بداية من تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن كان لها أثر كبير على مفهوم الدولة القومية، حيث هذه الأحداث التي إنطلقت من أجل المطالبة ببعض التعديلات والإصلاحات على المستوى السياسي والإقتصادي والإجتماعي كانت سببا كذلك في تفجير أزمة الهوية في الوطن العربي.

فكما يقول وزير الخارجية اللبناني الأسبق مروان المعشر أن إحدى نتائج الثورات العربية كان تآكل الدولة القطرية في أجزاء كثيرة من الوطن العربي...، فالدول القطرية

[1] موزاوي علي، المرجع السابق.

[2] رفيق بن حصير، المرجع السابق. ص61

[3] – الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، التعديل دستوري 2002، محصل عليه من موقع يوم: 2019/03/13:
http://www.premier-ministre.gov.dz/ressources/front/files/pdf/texts-fondamentaux/revis-constit-2002-ar-1-13.pdf

[4] شاوش أخوان محمد، "الحركة الأمازيغية في الجزائر (1945-2016)"، مذكرة ماستر(قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة بسكرة، 2016-2017).

التي كانت سابقا تروج لحلم الدولة القومية العربية بوطن عربي موحد، تشهد اليوم بروز لاعبين فاعلين ما دون الدولة، باتوا لا يهددون مفهوم الدولة القطرية وحده ولكن أيضا مفهوم الهوية الوطنية ومفهوم المواطنة.[1]

وبعد تفاقم الوضع في الدول التي كانت مسرحا لثورات الربيع العربي سيما على الحدود من صراعات قبلية وطائفية وإنتشار لمنظمات إرهابية أدت إلى إنتفاء مفهوم الولاء للدولة القومية، يبدو أن السلطات الجزائرية قد تفطنت إلى هذه الأخطار المحدقة سيما وأنها ليست في منأى عن إنتقال هذه العدوى إلى أراضيها خصوصا في ظل الصراع الهوياتي الأمازيغي العربي.

ومن هذا المنطلق فقد بادرت السلطات الرسمية على طرح مراجعة دستورية صادرة عن رئاسة الجمهورية بتاريخ 5 جانفي 2016م أمام البرلمان الجزائري من أجل التصويت عليها، حيث تنص على إعتبار اللغة الأمازيغية لغة وطنية رسمية إلى جانب اللغة العربية،[2] وكذلك على إحداث مجمع جزائري للأمازيغية وأن تعمل الدولة على ترقية الأمازيغية وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية، كما أشار الدستور إلى أن الأمازيغية تعد مكونا أساسيا للهوية الجزائرية، شأنها في ذلك شأن العروبة والإسلام.[3]

وتأتي هذه الخطوة كنتيجة للعديد من الأسباب ذات الأبعاد الداخلية والإقليمية والدولية، فعلى الصعيد الداخلي جاءت هذه الخطوة مباشرة بعد إندلاع أحداث غرداية عام 2015 والتي وإن تعددت أسبابها إلا أن المحدد الهوياتي كان حاضرا وبقوة، حيث راح ضحية هذه الأحداث 22شخص وجرح ما يزيد عن 700 فرد بينهم عشرات من قوات الشرطة.[4] حيث إضافة إلى الإختلاف اللغوي بين العرب وبني ميزاب يظهر كذلك الإختلاف المذهبي بين العرب المالكيين و بني ميزاب الإباضيين، ولعل المحدد المذهبي كان له الأثر الكبير في تفاقم الأحداث في غرداية بسبب الدور الذي لعبته بعض القنوات الإعلامية من تحريض ضد الإباضيين الذين تعتبرهم خوارج.[5]

---

[1] مروان المعشر، "الهوية والمواطنة"، متحصل عليه من موقع في 2018/08/23:
https://aawsat.com/home/article/1077166/%D9%85%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%86

[2] ياسر الغرباوي، المرجع السابق.

[3] شاوش أخوان محمد، المرجع السابق. ص75.

[4] ياسر الغرباوي، المرجع السابق.

[5] "غرداية...نزاع بين أمازيغ وعرب أم صراع إقتصادي؟"،متحصل عليه من موقع في
https://www.radiosawa.com/a/algeria-ghardaia-confrontations-amazigh-2018/08/23
arab/274949.html

أما بخصوص الأبعاد الإقليمية فكما ذكر سابقا تأتي في خضم التطورات التي تشهدها المنطقة العربية بتصاعد الخطاب الإثني والعرقي خصوصا على الحدود الجزائرية في ليبيا وكذلك تداعيات أزمة مالي التي تسببت في إنفجار أزمة الطوارق الذين دخلوا في صراع مع حكومة باماكو في مالي بعد الإنقلاب العسكري الأخير، حيث إندلعت الأزمة فعليا في مالي بـ18 جانفي 2012عندما أقدمت الحركة الوطنية لتحرير الأزواد على مهاجمة عدد من المدن ومنها الواقعة على الحدود الجزائرية، كرد فعل على التهميش والظلم الذي طال الإقليم الشمالي للبلاد، تفاقمت الأزمة أكثر بعد عودة عدد من المقاتلين الطوارق الذين كانوا في صفوف جيش الرئيس الليبي السابق معمر القذافي بعد إندلاع الثورة في ليبيا والإطاحة به.[1]

ويتوزع الطوارق على عدد من الدول في المنطقة ومن بينها الجزائر، حيث يعتبرون جزءا من النسيج المجتمعاتي الجزائري، وخوفا من إنتقال عدوى التحرر من طوارق مالي والنيجر إلى طوارق الجزائر، جاءت الخطوة الجزائرية بتشكيل مجمع وطني للأمازيغية من أجل ترقية وتطوير اللغة الأمازيغية بكل تنوعاتها حفاظا على الإستقرار والأمن القومي للبلاد.

أما على الصعيد الدولي فيأتي مشروع الدستور المصوت عليه من قبل الأغلبية البرلمانية تزامنا مع إضافة منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة إحتفالات رأس السنة الأمازيغية إلى قائمة التراث العالمي اللامادي بإعتبارها تقليدا تاريخيا عريقا تمارسه مجموعة بشرية وتتداوله أجيال، كما إشتمل قرار اليونسكو الذي أتخذ في 3 جانفي 2016 على ضم أبجدية تيفناغ (الأمازيغية) بإعتبارها تزامنا إنسانيا لا ماديا، وتم تصنيف طبق الكسكس في قائمة التراث الثقافي اللامادي.[2]

ما يمكن إستنتاجه من خلال ما سبق أن الجزائر قد قطعت شوطا كبيرا في سبيل ترقية الهوية الأمازيغية منذ تولي عبد العزيز بوتفليقة رئاسة الجمهورية بداية من الإعتراف باللغة الأمازيغية عام 2002م وإلى غاية التصويت على المشروع الدستوري عام 2016 الذي ينص على إعتبار اللغة الأمازيغية لغة وطنية رسمية إلى جانب العربية

[1] محمد الأمين بن عائشة، "الدبلوماسية الجزائرية والمعضلة الأمنية في مالي، المركز العربي الديمقراطي، محصل من موقع في: https://democraticac.de/?p=8205

[2] مركز السياسيات الثقافية في المنطقة العربية، "الأمازيغية في الجزائر بين الدسترة السياسية والهوية الثقافية"، متحصل عليه من موقع بتاريخ: 2019/03/13، http://www.arabcp.org/page/451

وإحداث مجمع جزائري للأمازيغية...الخ، إلا أن ما يعاب على هذه الخطوات المتثاقلة والتي جاءت كرد فعل مباشر على تطورات الأحداث في المحيط الإقليمي، لم تكن وليدة تنامي الوعي الداخلي من أجل بناء هوية وطنية قائمة على المساواة تأتلف في إطارها كل الطوائف المشكلة للدولة وقطع الطريق أمام كل محاولات تمزيق والنيل من وحدة الوطن وإستقراره مثلما حدث في الدول الأخرى.

خاتمة

ختاما ما يمكن قوله أن قيم المواطنة تشكل الحل الأمثل للمجتمعات التي تعاني من التنوع الهوياتي، فهي علاقة قانونية وأخلاقية تربط الأفراد بالسلطة القائمة تمثل معيارا ومؤشرا لمدى الإنتماء والولاء الذاتي، وينعكس تطبيق هذه القيم في الأنظمة السياسية في مدى إحساس المجتمعات بها بما أنها المكون الأساسي لهذه الأنظمة ولعل مستوى الثقافة السياسية أثر في مدى الإندماج الاجتماعي في مجتمعات المغرب العربي مما أثر في بناء الدولة الوطنية.

وقد حملت موجات الحراك العربي في 2011 أملا جديدا لكل الطامحين للديموقراطية والعدالة والمساواة خاصة بعد الإحتقان الكبير الذي ساد في داخل الدول المغاربية خاصة فيما تعلق بالجدل الهوياتي، وما التعديلات الدستورية التي عرفتها الدول المغاربية إلا دليل على بداية المسار نحو بناء الدولة الوطنية، وتعد القضية الأمازيغية أهم التحديات التي تواجه هذا المسار، لكن هذا المسار لايزال يواجه عدة معيقات أهمها أنها لا تزال رهينة المزايدات السياسية إذ أنها تعرف تجاذبات كبيرة خاصة فيما تعلق بالتطبيق الفعلي في الأرض.

وفي الجزائر يمكن القول أنها أهم الحالات التي تواجه هذه التحديات بالرغم أنها لم تتأثر بالحراك العربي الذي مر بالمنطقة، لكنها سعت للإلتفاف حول القضية والإستجابة الإستباقية إلا أن التحرك لايزال غير كامل نظرا أن الجدل الهوياتي يعالج بشكل سطحي، فالإعتراف باللغة الأمازيغية لا يعني الإعتراف بالهوية والإكتفاء بلفظ أن" الجزائريين أمازيغ عربهم الإسلام " يفتح أكثر من قوس، خاصة وأن الإتجاه يسعى لتوحيد المجتمع على أساس القومية بدل مجتمع المواطنة وهذا ما يفتح الباب أمام إحتمالات عديدة مرتبطة بمدى معالجة السلطة للقضايا الهوياتية بعيدا عن الحلول السطحية التي لا تقوم بدور كبير سوى تضييع الوقت والفرص الممكنة .

قائمة المراجع :

1.سورة الحجرات، القرآن الكريم .

2.الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المجلس الدستوري، دستور 1989م، محصل عليه من موقع يوم،2019/03/13،

http://www.conseil-constitutionnel.dz/index.php/ar/1989

3.الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المجلس الدستوري، دستور 2016، محصل عليه من موقع يوم 2019/03/12،

http://www.conseil-constitutionnel.dz/index.php/ar/2016

4.الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، التعديل دستوري 2002، محصل عليه من موقع يوم: 2019/03/13،

http://www.premier-ministre.gov.dz/ressources/front/files/pdf/texts-fondamentaux/revis-constit-2002-ar-1-13.pdf

5.يحي(مهى)، المواطنة والمكونات المجتمعية في المنطقة العربية،القاهرة: دار روافد للنشر والتوزيع، 2015

6.ولديب (سيدي محمد)، الدولة وإشكالية المواطنة، قراءة في مفهوم المواطنة العربية،عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2010.

7.التويجري (عبد العزيز بن عثمان)، التراث والهوية، الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، 2011.

8.كامب (غابرييل)، البربر ذاكرة وهوية، تر:عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2014.

9.فوزي (سامح)، المواطنة، القاهرة: مركز القاهرة دراسات حقوق الإنسان، 2008.

10.رفيق بن حصير،"الأمازيغية والأمن الهوياتي في شمال إفريقيا-دراسة حالة الجزائر والمغرب-"، مذكرة ماجستير(قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012-2013)

11.شاوش أخوان محمد،"الحركة الأمازيغية في الجزائر (1945-2016)"، مذكرة ماستر(قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة بسكرة، 2016-2017).

12.لوصيف (السعيد)،"واقع و مستقبل الدولة الوطنية ضمن رهانات وتحديات مرحلة ما بعد الحرب الباردة"، مذكرة ماجستير(كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2010)

13.مالكي (امحمد)، "الإندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة في المغرب العربي"، المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013 .

14.الخفاجي (طالب محمود ياسين) ومحمد (إبتسام سعدون)، "مستوى شعور طلبة كلية التربية بالهوية الوطنية"، مجلة التراث، العدد 10، مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ديسمبر 2013.

15.بن سعيد (موسى)، "اللغة العربية بين الحفاظ على الهوية ومواكبة عصر العولمة"، متحصل عليه من موقع في 2018/08/16،

http://revue.ummto.dz/index.php/pla/article/view/898/735

16.مراحي (يوسف)، "أمازيغية الجزائر...لهجات تعوق وحدة اللغة"، متحصل عليه من موقع في 2019/03/12، https://www.aljazeera.net/news/cultureandart

17.بن زينب (شريف)،"اللغة والهوية عند مولود قاسم نايت بلقاسم"، مجلة دراسات إنسانية"، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة مستغانم،2015، متحصل عليه من موقع في 2018/08/16 :
https://www.univ-mosta.dz/images/revue/revusdirassat/revusEH2015AR.pdf

18.جلال(خشيب)،"إشكالية الهوية في الجزائر ودور المثقف التوافقي".(د.ن.ن): المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية،21 سبتمبر 2016، متحصل عليه من موقع في 2018/08/16 :
https://eipss-eg.org/%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%

19.قادري(فريد)، "ثنائية اللغة والهوية في الجزائر". متحصل عليه من موقع في 2018/08/23:
http://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/4/25/%D8%AB%D9%86%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A

20.بن منصور (محمد جميل)، " الأمازيغ في الشمال الإفريقي .. محاولة للفهم "، موقع الجزيرة، 2014/10/03، متحصل عليه من موقع في 2018/08/02:
http://www.aljazeera.net/home/print/787157c4-0c60-402b-b997-1784ea612f0c/3d0ade62-d215-41d5-b2ca-1a7fad148e8b

21.موزاوي (علي)،"مسألة الهوية الوطنية في الجزائر: من التلاحم الشعبي إلى التوظيف الإيديولوجي ثم التوجه نحو التعايش السلمي". متحصل عليه من موقع في 2018/08/16:
http://www.inumiden.com/ar/%D9%85%D8%B3%D8%A3%D9%84%D8%A9

22.محمد الأمين بن عائشة، "الدبلوماسية الجزائرية والمعضلة الأمنية في مالي، المركز العربي الديمقراطي، محصل من موقع في: https://democraticac.de/?p=8205

23.المعشر (مروان)، "الهوية والمواطنة"، محصل عليه من موقع في 2018/08/23:
https://aawsat.com/home/article/1077166/%D9%85%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%86

24.العجاني (محمد)، "الدساتير والواقع و البنية ما بعد الإنتفاضات العربية" ، مؤتمر أثر الإنتفاضات العربية على المواطنة في العالم العربي، جامعة البلمند، لبنان، نوفمبر 2014، متحصل عليه من موقع في 2018/08/31:
https://elagati.wordpress.com/2015/05/04/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B7%D9

25.الغرباوي (ياسر)، "الهوية الجزائرية ثلاث مسارات لمواجهة التحديات القائمة". متحصل عليه من موقع في 2018/08/16:
https://www.alaraby.co.uk/investigations/2017/8/6/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9

26.تقرير صادر عن الأمم المتحدة، متحصل عليه من موقع في 2018/08/02:
http://www.un.org/ar/sc/repertoire/principles.shtml

27.تقرير صادر عن موقع الجزيرة، متحصل عليه من موقع في 2018/08/2:
http://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions/2017/5/15/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9

28.مركز السياسيات الثقافية في المنطقة العربية، "الأمازيغية في الجزائر بين الدسترة السياسية والهوية الثقافية"، متحصل عليه من موقع بتاريخ: 2019/03/13:

http://www.arabcp.org/page/451

29."غرداية...نزاع بين أمازيغ وعرب أم صراع إقتصادي؟"، متحصل عليه من موقع: https://www.radiosawa.com/a/algeria-ghardaia-confrontations-amazigh-arab/274949.html ،

30.stets (Jan.E)&.Burk (Peter J)," Identity theory & social identity theory", Vol 63, N03,**american sociological association**, washington 2000 .